تجربة فنلندا التعليمية

في السنوات الأخيرة برزت فلندا كأفضل دولة في العالم في مجالٍ التعليم وتفوقت على دول أخرى أكثر منها حضارة و أكثر سكانا ،حتى أصبحت محط أنظار معظم دول العالم التي ترغب في تطوير نظام التعليم لديها ومنها المملكة العربية السعودية التي اعتبرت التجربة التعليمية الفنلندية أنموذجا رائعا لابد من الاستفادة منها ؛ فأرسلت الكثير من رجال التربية والتعليم في بلادنا أرسلتهم إلى هناك للبحث في سبل الاستفادة من تلك التجربة ؛ وبدأت في تطبيق بعض الطرق التعليمية والتربوية التي تتناسب مع مجتمعنا وقيمنا وبيئتنا.

وهنا يجدر بنا أن نلقي نظرة سريعة على تلك التجربة فقد نشر موقع الفنار للإعلام المتخصص في قضايا التعليم في الوطن العربي حوارا أجرته نيللي الزيات، وهي مستشارة مصرية فى مجال التعليم، تخرجت في قسم الدراسات العليا بكلية التربية جامعة هارفارد والجامعة الأمريكية في القاهرة، مع الباحث وخبير التعليم الفنلندي: (باسي سهلبرج) ، والذى يعمل أستاذا زائرا في قسم الدراسات العليا بكلية التربية في جامعة هارفارد، حول التقدم الفنلندي في مجال التعليم ففي ذلك يقول :

بعد ما حققته فنلندا من نتائج عالية في اختبارات برنامج التقييم الدولي للطلاب في ديسمبر ٢٠٠١، أصبحت قبلة لكل الأساتذة الأكاديميين ومسؤولي الحكومات والصحفيين المهتمين باكتشاف أسباب النجاح الذى حققته في مجال التعليم.

إذ تواصلت النتائج المتميزة للطلاب الفنلنديين في امتحانات السنوات ٢٠٠١، و٢٠٠٣، و٢٠٠٦، و٢٠٠٩، و٢٠١٢ في المجالات الثلاثة التي يغطيها التقييم، وهى: الرياضيات والعلوم وإتقان القراءة.

وتجدر الإشارة هنا إلى ما قدمه (سهلبرج) في كتابه (الدروس الفنلندية) ما الذى يمكن أن يتعلمه العالم من التغيير الذى حققته فنلندا في مجال التعليم؟

ولمعرفة قصة الإنجازات التي حققتها فنلندا في مجالٍ التعليمٍ نتابع ما جاء في تلك المقابلة ؛فلقد عمل (سهلبرج) مدرسا، ومدربا للمدرسين، ومستشارا في مجال السياسات، ودرس العديد من نظم التعليم حول العالم وسبل إصلاحها.

كما انضم للعمل مع منظمة التعاون الاقتصادي للتنمية، التي تقدم امتحانات برنامج التقييم الدولي للطلاب، والبنك الدولي، والاتحاد الأوروبي، والكثير من الحكومات العربية ويثير الحوار العديد من القضايا الهامة، وأولها هو عدم جدوى تطبيق التجربة الفنلندية في بعض البلدان الأخرى. وفى هذا الصدد يرى (سهلبرج) أن معظم الناس يأتون إلى فنلندا باحثين عن العوامل التي أدت إلى نجاح النظام التعليمي الفنلندي، متجاهلين قوة الثقافة الفنلندية وأهميتها بالنسبة للأطفال. حيث يبدأ الطلاب الفنلنديون الدراسة في سن السابعة وفى السنوات السبع الأولى من حياتهم، يحصل الأطفال على رعاية صحية متميزة وأنشطة ترفيهية تحت إشراف متخصصين من خلال المستشفيات الحكومية ومراكز رعاية الأطفال ؛ وفى الوقت الذى يبدأ فيهِ الأطفال الفِنلنديونِ الدراسة، يكونون قد اكتشفوا أنفسهم فعليا وقضوا وقتا طويلا في اللعب والاستمتاع بحقوقهم كمواطنين صغار فنمت مداركهم وتوسعت أفقهم فأقبلوا على العلم راغبين لا راهبين ؛ ووجدوا التشجيع من أسرهم في شحذ هممهم ودفعهم نحو التفوق والتميز ؛ وما تقوم به الأسر نحو أبنائها إنما يدل على مدى ما تتمتع به من علم وثقافة ورقي .

ويرى بعض الباحثين والكثير من المراقبين استبعاد إمكانية تعلم أية دروس من فنلندا لأنها دولة صغيرة تعداد سكانها ستة

ملايين فقط، وأغلبهم من الأثرياء الذين تجمع بينهم صفات كثيرة مشتركة؛ ومن ثَمَّ فإن دولة تَفوقها كثيرا في الحجم والتعداد السكاني لا يمكن أن تطبق الدروس المستفادة من التجربة الفنلندية وهذا خطأ كبير يمنع الناس من الاستفادة مما حققته فنلندا.[1].

وفي نظري أن هذه الرؤية في غير محلها لأنه ليس شرطاً تطبيق جميع المعطيات التعليمية الفنلندية

في بلد مثل المملكة العربية السعودية للاختلاف الكبير في التركيبة السكانية والمعتقدات الدينية والعادات والتقاليد وحتى البيئة الجغرافية ؛ ولكن الأخذ بما يمكن تطبيقه هو ما يجب أن تسعى وزارة التعليم إلى البحث عنه واعتمادهِ للرفع من مستوى التعليم في بلادنا بصورة تجعل منه مثالاً رائعاً فتنعكس مخرجاته على نهضة المملكة وتقدمها في جميع الميادين ولاسيما وأن عوامل التغيير إلى الأفضل متوفرة والإمكانات المادية ميسرة بإذن الله .

---

(١) الروابط للبحوث والدراسات الاستراتيجية .